وليعلي بقراة هذا الامر على المنابر ٭ وليعلم به الحاضر والبادي
ليستوي فيه البادي والحاضر ٭ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ٭
ومن صنايع السلطان صلاح الدين انه اسقط المكوس والضرايب
عن الحجاج بمكة وقد كان يوخذ منهم شي كثير ومن عجز عن اذا به
حبس فربما فاته الوقوف بعرفة ٭ وعوض اميرها بمال اقطاعا بديار
مصر يحمل اليه منه في كل سنة ثمانية الاف اردب غلة فلتكن عونا له
ولاتباعه ٭ وقرر للمجاورين ايضا غلات تحمل اليهم وصلات فرحمة
الله عليه في ساير الاوقات ٭ فلقد كان اماما عادلا وسلطانا كاملا
لم يل مصر بعد الصحابة مثله لا قبله ولا بعده ٭ وقد كان
الخليفة المستضي ارسل اليه في سنة اربع وسبعين خلعا سنية جدا
وزاد في القابه معز امير المومنين ٭ ثم لما ولي الخليفة الناصر في سنة
ست وسبعين ارسل اليه خلعة الاستمرار ثم ارسل اليه في سنة اربع
وثمانين يعاتبه في تلقيبه بالملك الناصر مع انه لقب امير المومنين
فارسل يعتذر اليه بان ذلك كان من ايام الخليفة المستضي وانه وان
لقبه امير المومنين بلقب فهو لا يعدل عنه وتادب مع الخليفة غاية
الادب قال العماد وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون الي خيام
الفرنج فيسرقون فاتفق ان بعضهم اخذ صبيا رضيعا من مهده ابن
ثلاثة اشهر فوجدت عليه امه وجدا شديدا واشتكت الي ملوكهم ٥
فقالوا لها ان سلطان المسلمين رحيم القلب فاذهبي اليه فجات الي
السلطان صلاح الدين فبكت وشكت امر ولدها فرق لها رقة شديدة
ودمعت عيناه فامر باحضار ولدها فاذا هو بيع في السوق فرسم بدفع
ثمنه الي المشتري ولم يزل واقفا حتى جي بالغلام فدفعه الي امه
وحملها على فرس الي قومها مكرمة ٭ واستمر السلطان صلاح الدين ٥
على طريقته العظيمة من مثابرة الجهاد للكفار ونشر العدل وابطال
المكوس والمظالم واجرا البر والمعروف الي ان اصيب به المسلمون ٥
وانتقل بالوفاة الي رحمة الله تعالى ليلة الاربعا سادس عشري صفر
سنة تسع وثمانين وخمسمايه وله من العمر سبع وخمسون سنة وعمل ٥
الشعرا فيه مراثي كثيرة من ذلك قصيدة للعماد الكاتب ياتي ذيلها ببيتنا
اولها
شمل الهدى والملك عم شتاته ٭ والدهر ساء واقلعت حسناته ٭
بالله ابن الناصر الملك الذى ٭ لله خالصة صفت نياته ٭

ابن

ابن الذى مازال سلطانا لنا ٭ ترجى يداه وتتقى سطواته ٭
اين الذي شرف الزمان بفضله ٭ وسمت على الفضلا تشريفاته ٭
ابن الذى عنت الفرنج لباسه ٭ ذلا ومنها ادركت ثاراته ٭
اغلال اعناق العدى اسيافه ٭ اطواق اجياد الورى مناته ٭
قال العماد وغيره لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم
واحد صوريا وستة وثلاثين درهما ولم يترك دارا ولا عقارا ولا
مزرعة ولا شيا من انواع الاملاك وترك سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة
واحدة وكان متدينا في ماكله ومشربه ومركبه وملبسه فلا يلبس
الا القطن والكتان والصوف وكان يواظب الصلاة في الجماعة ويواظب
سماع الحديث حتى انه سمع في بعض المصافات جزا وهو بين الصفين
وتبجح بذلك وقال هذا موقف لم يسمع فيه احد حديثا وبالجملة فمناقبه
الحميدة كثيرة لا تستقصى الا في مجلدات وقد افرد سيرته ٥
بالتصنيف جماعة من العلما والزهاد والادبا وكان به عرج في رجله
فقال فيه ابن عنين الشاعر
سلطاننا اعرج وكاتبه ٭ ذو عمش والوزير محدودب
قال ابن فضل الله في المسالك ومن غرايب الاتفاق ان الشيخ
علم الدين السخاوي مدح السلطان صلاح الدين ومدحه الاديب رشيد
الدين الفارقي وبين وفاتيهما ماية سنة ٭ وذكر اليافعي في روض ٥
الرياحين ان السلطان صلاح الدين كان من الاوليا الثلاثماية وان السلطان
محمود كان من الاوليا الاربعين وقام بمصر من بعده ولده الملك
العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان وكان نايب ابيه بها في حياته مدة
اشتغاله بفتح البلاد الشامية فاستقل بها بعد وفاته فسار سيرة
حسنة لعفته عن الفروج والاموال حتى انه ضاق ما بيده ولم يبق
في الخزانة لا درهم ولا دينار فجاه رجل يسعى في قضا الصعيد بمال
فامتنع وقال والله لا ابيع دما المسلمين واموالهم بملك الارض وسعى
اخر في قضا الاسكندرية باربعين الف دينار وحملها اليه فلم يقبلها
ولم يزل الي ان مات في المحرم سنة خمس وتسعين وله سبع او ثمان
وعشرون سنة ودفن في قبة الامام الشافعي فاقيم ولده ناصر
الدين محمد ولقب بالمنصور فاستمر الي رمضان سنة ست وتسعين
ثم استفتى عم ابيه الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب
ابن شاذي الفقها في صحة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين فافتوا بان

Copyright © King Saud University